الفصل الأول

الجغرافيا التاريخية لحمص

أولاً : الموقع الجغرافي والفلكي

ثانياً : المناخ

ثالثاً : جيولوجيا وتضاريس حمص

رابعاً : تسمية حمص

خامساً : موجز تاريخ حمص قبل الإسلام

سادساً : وصف المؤرخين والجغرافيين والرحالة لحِمْص

obeikandl.com

أولاً: الموقع الجغرافي والفلكي

لابد لفهم تاريخ أمة من الأمم من فهم بيئتها الطبيعية، حيث أن البيئة من الأسس المهمة في تكوينها، فهي تؤثر في طباع السكان ونشاطهم، وتكوين أجسامهم، وتوجيه فعالياتهم[1]، ومنجزاتهم الحضارية على كافة الأصعدة وبمختلف الحقب التاريخية.

حيث كان للقدماء في اختيار مراكز مدنهم النظر البعيد الصائب، فمعظم البلاد منذ سالف الأجيال ثابتةً في مقامها، على الرغم من تقلبات الدول وطوارئ الدهر. ولا غرو أن حمص من هذه المراكز التي دفع حُسن موقعها القدماء إلى اختيارها[2]. فهي تأخذ موضع القلب في القطر العربي السوري، حيث تقف من الغرب على نافذة البحر، وتستقبل من الشرق الصحراء، ومن جنوبها تلال ووهاد، ومن شمالها تلال وسهول، وبين هذا وذاك فإنها تقف أمام الفتحة الطبيعية الواقعة بين جبال لبنان الشمالية والشرقية حتى حافة البادية السورية شرقاً، وهي لا تبعد عن البحر أكثر من (٩٠كم)، وعن البادية أكثر من ذلك بقليل، كما تقترب من عروس الصحراء تدمر الموصلة إلى بلاد الرافدين شرقاً، وتقع في الوقت ذاته على خط المدن الشمالي الجنوبي الموصل إلى تركيا شمالاً وإلى الجزيرة العربية جنوباً في نقطة متوسطة بين دمشق وحلب[3]، وتضم مدناً ومراكز حضارية كالقصير والرستن، والمشرفة، وتل النبي مند. وتنتشر فيها المدن والقرى من كل جهاتها متصلة فيما بينها بطرق متقاربة. وقد ارتبطت بنهر العاصي ووادية وبحيرته (قادش) قطينة. كما حظيت بموقع يسهل ورود هواء البحر إليها فيلطف جوها ويجعله

---

١ ـ خريوطلي (شكران): شبه جزيرة العرب والصراع الدولي عليها منذ القرن الرابع حتى ظهور الإسلام، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص٤٥.

٢ ـ شيخو (لويس): محاضرة في حمص ومآثرها، حمص، ١٩٢٣م، ص٢.

٣ ـ فهي تقع شمال دمشق ١٦٠كم، وجنوب حلب ١٩٥كم، وغرب تدمر ١٥٠كم، وشرق طرابلس ٩٠كم، وجنوب شرق طرطوس ٩٦كم. طلاس، المعجم الجغرافي، مج٣، ص١٤٤. انظر خارطة سورية، ملحق رقم (٧).

عاصفاً أحياناً، كل ذلك كان من شأنه أن يلفت أنظار الأقدمين إلى إنشاء مدينة حيث قامت بعدئذٍ حاضرة حمص مع طيب هوائها واعتدال مناخها[1].

وإذا كان هذا الوصف يمثل حدود حمص من الخارج فكيف كانت حمص من الداخل؟. كان للمدينة أربعة أبواب فقط قبيل الفتح الإسلامي وهي باب الجبل، وباب الصغير، وباب الرستن، وباب الشام[2]، وكان سكان حمص يفخرون بحصانة مدينتهم، وأسوارها ويقولون: " فإن سورنا شديد، وأبوابنا حديد "[3]. وهدم مروان بن محمد سور حمص، وذلك أنهم كانوا خالفوا عليه في نهاية الدولة الأموية، فلما مر بأهلها قادماً من خراسان، اقتطعوا بعض ثقله، وماله، وخزائن سلاحه[4].

لقد كان يحيط بالبلدة سور من الحجارة البازلتية له شكل شبه منحرف، وغير منتظم، قاعدته الصغرى هي الجنوبية الممتدة بين باب الدريب وباب السباع، بطول ٩٠٠م، وقاعدته الكبرى هي الشمالية الممتدة بين باب تدمر شرقاً، وبرج جامع الأربعين غرباً بطول ١٥٧٥م، وضلعه الشرقي الممتد بين باب تدمر شمالاً وباب الدريب جنوباً ويبلغ طوله ٩٠٠م، وضلعه الغربي بين برج جامع الأربعين شمالاً، وباب التركمان الملاصق للسفح الشمالي الغربي للتل جنوباً، ويبلغ طوله ٨٢٥ م فيكون محيط السور على هذا النحو ٤٢٠٠م[5].

---

١ ـ شيخاني (حمد فيصل) وكاخيا (طارق إسماعيل): معالم وأعلام من حمص الشام في القرن العشرين، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٣. أثناسيو(متري هاجي): سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ق١، ص١١. العفيفي (عبد الحكيم): موسوعة ١٠٠٠مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٠٧. الخوند (مسعود): الموسوعة التاريخية الجغرافية، مؤسسة هاينادا، بيروت، ط١٠، ص٢٨٦.

٢ ـ الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص١٢٣. وباب الجبل دعي فيما بعد بالباب المسدود، وهو الوحيد الذي لا يزال قائماً من أبوب المدينة. انظر ملحق رقم (٧).

٣ ـ الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص١٢٣.

٤ ـ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤٠.

٥ ـ السباعي (محمود عمر)، والزهراوي (نعيم سليم): حمص دراسة وثائقية في الحقبة (١٢٥٦ ـ ١٣٣٧هـ / ١٨٤٠ ـ ١٩١٨م)، من خروج إبراهيم باشا وحتى خروج الأتراك العثمانيين، حمص،

والسور عبارة عن حائط يبلغ عرضه حوالي أربعة أمتار، مبني من الحجارة السوداء، لمنع النقب، وارتفاعه حوالي عشرة أمتار لمنع التسلل. وعلى هذا الموقع الرئيسي من السور توجد عدة أبراج لها فتحات خصصت للحرس، ورماة الأسهم، والنبال، كما أن فتحات السهام مؤشر واضح على المهارة الحربية للدفاع عن القلعة دون التعرض للأذى، وأول من بنى السور الحثيون[1] ومن بعدهم الآراميون، وحصن الرومان حمص من بعدهم حتى جاء الفتح الإسلامي[2]، وعندما شكا أهل حمص لعمر بن عبد العزيز أن مدينتهم قد خرب حصنها ربما بسبب بركان أو زلزال، فأمر واليها أن يبنيها بالعدل وأن ينقي طرقها من الأذى[3].

وكان يحيط بالسور من الخارج خندق[4] يملأ بالماء لمنع اقتراب العدو من المدينة، وهي من الوسائل الدفاعية العسكرية المهمة، ولا بد أن يكون هناك قناة تصل بين الخندق ونهر العاصي لتزويده بالماء، إضافة إلى عرض السور الكبير، ويؤكد ابن جبير أهمية الأسوار بقوله: "وأسوار هذه المدينة غاية في المتانة والوثاقة، مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود، وأبوابها أبواب حديد، سامية الإشراف، هائلة المنظر[5]".

ط١، ١٩٩٢م، ج١، ص١٥. انظر تفاصيل أكثر حول السور والقلعة لاحقاً. الملحق رقم (٢).

١ ـ الحثيون: موطنهم الأصلي بلاد الأناضول، حيث يعود أقدم ذكر لهم إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في الحوليات الأشورية. حماد (حسين فهد): موسوعة الآثار التاريخية، دار أسامة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ٢٤٨ـ٢٥٠.

٢ ـ العلاف (فوزي)، سورية ملتقى الحضارات، وكالة التراث العربي، ط٢، ١٩٨٨م، ص١١٩.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٨، ص١٩٨.

٤ ـ وقد زال خندقها منذ سنوات قليلة بعد هدمه من قبل مجلس مدينة حمص. شيخاني (محمد فيصل): حمص وخالدها الصحابي الجليل خالد بن الوليد، دراسة أثرية تاريخية وأثرية وسياحية، دار الإرشاد للنشر، ٢٠٠٦م، ص١٥. وقدر عرض السور بحوالي أربعة أمتار بارتفاع عشرة أمتار.

٥ ـ ابن جبير، رحلة ابن جبير، (أدب الرحلات)، دار التراث، بيروت، ص٢٠٨.

ويعد تل حمص من أهم معالم المدينة عند الفتح الإسلامي، ويقع الآن ضمن الحي المسمى بباب السباع، وهو على صورة مخروط قطع رأسه[1]، وهو في وصفه الحالي يرتفع عن سطح البحر حوالي ٥٠٨م، وعما يجاوره حوالي ٣٢م، أما قطر التل فيبلغ ٢٧٠م، ومحيطه يبلغ ٨٤٠م، وكان يوجد فيه بالإضافة إلى الأبراج والسور، بيوت للجند ومخزن ماء عميق[2]، ويرجح أن القسم الأدنى هو تل طبيعي، أما القسم الأعلى فهو اصطناعي، كما أن الأعمدة الموجودة في الجهة الشرقية نقلت إلى التل من معبد الشمس القديم الذي كان قائماً أيام أسرة شمسيغرام[3].

فإذا تصورنا وجود التل الطبيعي ووضعنا إلى جانبه تلاً اصطناعياً حديث النشأة، فهذا يتطلب وفرة مادة خام أولية مكونة من الصخور والأتربة، وربما أن ذلك تم أثناء حفر الخندق واستخراج التراب والصخور، وإضافتهما إلى التل الطبيعي بدليل إحاطة السور بوادٍ خارج السور (أي منطقة منخفضة)، وهذا يقود

---

١ ـ الريماوي (سهيلة): مدينة حمص عند الفتح الإسلامي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، (بلاد الشام في صدر الإسلام)، المجلد الثالث، ص٢٢٤.

٢ ـ جود الله (فاطمة): سورية نبع الحضارات تاريخ وجغرافية أهم المواقع الأثرية، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٩٧.

٣ ـ الريماوي، مدينة حمص، ص٢٢٤. عثر على صورة إله الشمس المصور على النقود التي كانت تصك في حمص داخل القلعة. شيخاني، حمص وخالدها، ص١٣.

شمسيغرام: أو سمبسيغراموس: هو كاهن أسرة الشمس في حمص استطاعت هذه الأسرة أن تستقل بحكم المدينة أكثر من نصف قرن قبل استيلاء الرومان عليها، وعندما جاء بومبيوس أقره رئيساً وعقد صداقة معه انظر: عبد الحميد (عز الدين): مدينة حمص في العهد الروماني، مجلة دراسات تاريخية العدد ٢٩ـ٣٠، دمشق ١٩٨٨، ص ٨٦. وبحسب تقاليد ذلك العصر كان شمسغرام كبير سدانة معبد الشمس في حمص ويتمتع بسلطة روحية ومدنية. موصلي(ماجد): ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى، حمص، ١٩٨٤ ص ٥٦ـ٥٧.

وإن أهمية عبادة الشمس عصرئذ توضح عادة عند شروقها و افتنّ النحاتون في تمثيل رب الشمس بصورة نسر كبير وقوي وضخم باسطاً جناحيه على الكون والكائنات، واشتهر عدد من أبناء حمص القدماء بأسماء تتضمن اسم الشمس مثل (شمسغرام)، وشكل الإله سيميوس (Simios) مع ايل والشمس ثالوث آلهة حمص. موصلي، المرجع المتقدم، ص٥٨.

للإشارة إلى أن الخندق حفر في حقبة لاحقة عن حقبة الدراسة، إذ لم تذكر المصادر أي إشارة إلى الخندق، وإنما أشارت إلى دسكرة هرقل وكنيسته[1]، وكان أيضاً مما كتبه أبو عبيدة لأهل حمص أثناء حصارها: "فما مدينتكم إلا كالبرمة قد نصبناها في وسط عسكرنا"[2]، وهذا يدل على أن المسلمين حاصروا حمص من جميع جهاتها، وأن التل كان ظاهراً أمامهم، علماً أن ارتفاع التل عند الفتح الإسلامي لم يتجاوز " ستة أمتار"[3]. كما أن عبادة بن الصامت بعد فتح حمص كان له بناء في ساحة حمص، ومعه زوجه أم حرام[4]، وكذلك كان فيها حمامات[5]، وكذلك أشارت المصادر إلى التل، حيث دعا الخليفة يزيد بن الوليد قائده عبد العزيز بن الحجاج لإخماد وثوب أهل حمص في نهاية الدولة الأموية، حاثاً جنوده قائلاً: " موعدكم التل الذي وسط عسكرهم"[6].

وقد لاقى وصف حصانة حمص ومنعتها أهمية خاصة لدى الجغرافيين والرحالة، فذكرها الحموي بقوله: " بلد مشهور قديم كبير مسوّر وفي طرفه القبلي تل عالٍ كبير"[7].

ومما تقدم فإن وجود سور حول المدينة وفي وسطه تل عال ووجود أبراج له عدة

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص١٠.

٢ ـ الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص١٢٢.

٣ ـ الشاطر، حصار حمص، ص١١٤.

٤ ـ البخاري، صحيح البخاري، ج٣، ص١٠٦٩.

٥ ـ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج٦، ص٢٦٧. الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي): (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص١١٤. القزويني (محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني): (ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص١٢٣٤. المنذري، الترغيب والترهيب، ج١، ص٨٨.

٦ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٣١٥.

٧ ـ الحموي (ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٨م، مج٢، ص٣٠٢.

أبعاد منها بشرية للإقامة فيها، فالبعد العسكري للدفاع والهجوم والتحصن والحماية، ويشكل ذلك بعداً سياسياً موازياً للبعد العسكري، بالإضافة إلى البعد الديني المتمثل بوجود معبد داخل السور قبل الإسلام، وبوجود مسجد بعد الفتح الإسلامي، إضافة إلى البعد الاجتماعي فلا بد أن سكان حمص في جميع الحقب عاشوا في جو من الألفة والمودة تجمعهم روابط الدم واللغة والعادات والتقاليد، والتاريخ المشترك، والأهداف والأماني، وكذلك هناك بعد اقتصادي لمرور عدة طرق تجارية عبر وسط الشام.

ولكن ألا يوجد سبب طبيعي دفع السكان للإقامة في منطقة مرتفعة ومحاطة بالسور؟. فربما أراد سكان حمص القدماء الابتعاد عن خطر حفرة الانهدام الأسيوي الأفريقي كونه يمثل منطقة منخفضة مرتفعة الحرارة، ولاحتوائها الدائم على المستنقعات والحشرات والحيوانات الضّارة، فقد يكون هذا سبباً طبيعياً لدرء الكوارث والمخاطر الصحية.

الموقع الفلكي:

بعد الحديث عن موقع حمص الجغرافي تجدر الإشارة هنا إلى موقعها الفلكي، فهي تقع على خط عرض ٣٤,٧ شمال خط الاستواء تقريباً، وخط طول ٣٦,٨ شرقي غرينتش، ويفيد الموقع الفلكي في التعرف على الظروف المناخية، وأثرها على حياة الإنسان وممارسته لنشاطاته الاقتصادية المختلفة[١].

ثانياً: المناخ

ويوصف المناخ في حمص بالمناخ المعتدل "فهواؤها أعدل (أصح)، هواء يكون بمدن الشام[٢]، فهو رطب، ونسيمها منعش[٣]، تلبس الحلل الموشحة بالأزهار في

---

١ ـ انظر خريطة سورية العامة، ملحق رقم (٧).

٢ ـ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٣٧٤. القزويني، آثار البلاد، ص١٨٤. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٢.

٣ ـ ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٨.

فصل الربيع[1].

وذكر أحد من نزل حمص من الصحابة {أبو فالج الأنماري}[2]: "قدمت حمص أول ما فتحت، فعرفت أرياحها وغيومها، فإذا رأيت هذه الريح الشرقية قد دامت، والسحاب شامياً، فهيهات ما بعد غيثها وإذا رأيت الريح الغربية قد تحركت، ورأيت السحاب مستغدقاً فابشر بالغيث[3].

وهذه إشارات حول مناخ حمص وتحديداً حركة الرياح وأثرها على الإنسان، والرواية الأخيرة تفيد أن الرياح الغربية تحمل أمطاراً وذلك لأنها قادمة من البحر المتوسط، ومحملة ببخار الماء وبالتالي فإن غيثها وفير، أما الشرقية فإنها قادمة من الصحراء ومحملة بالأتربة والغبار فقط.

ويعد مناخ حمص بالنسبة لعرضها الجغرافي، ولقربها من البحر، واتصالها به بواسطة فتحة طرابلس مرحلة انتقال ما بين مناخ البحر المتوسط، ومناخ الصحراء، فهو مناخ حار جاف، والصقيع وهطول الثلوج ليس غريباً في حمص[4].

أما فصولها الأربع؛ فربيعها؛ معتدل ماطر جميل تزينه الخضرة والأزهار المتفتحة في كل مكان، وصيفها؛ حار جاف يجمع الفلاحون خلاله محاصيلهم، وثمار أشجارهم، وتصل شدة الرياح الغربية في مدينة حمص في هذا الفصل إلى أقصاها. وفي الخريف؛ يعود الطقس إلى الاعتدال وتبدأ تباشير الشتاء بهطول الأمطار. وقد

---

١ ـ العمري، مسالك الأبصار، السفر الثالث، ص٥٣١ ـ ٥٣٢.

٢ ـ سترد أسماء كثيرة في الأطروحة ومنعاً للتكرار فقد أوردتها ضمن ملحق تسمية من نزل حمص من الصحابة والتابعين. ملحق رقم (١)، وسأكتفي بتعريف الأسماء غير الواردة في الملحق.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٧، ص١٣٠.

٤ ـ العلاف (فوزي): سورية ملتقى الحضارات، ص١١٨. إن التغييرات المناخية التي عرفتها المنطقة كان لها انعكاسات هامة على صعيد المجتمعات البشرية، فهناك علاقة بين التغييرات المناخية، والتطورات السكانية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات البشرية وفي تحديد أماكن سكناها. بول (سانلافيل): التغييرات المناخية وتطور المجتمعات البشرية في بلاد الشام ما بين (١٨٠٠٠ـ ٦٠٠٠ق.م)، تعريب يسري الكجك، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، وزارة الثقافة، دمشق، مج٤٣، ص٢٢٩.

تمتلئ الأودية الصحراوية بفيضها. أما في الشتاء فيقصر النهار، وتزداد البرودة حدة وشدة[1].

وهكذا فإن مناخ حمص شديد التباين وذلك لتباين المظاهر التضاريسية في حمص، فما هي المظاهر التضاريسية الرئيسة في حمص[2]؟.

ثالثاً: جيولوجية منطقة حمص

ولاستكمال رسم صورة عن حمص لابد من الإشارة إلى جيولوجية وتضاريس حمص. إن منطقة حمص عبارة عن هضبة تقسم إلى قسمين:

١- **هضبة حمص الرسوبية**: وهي استمرار لهضبة حماه المتجهة جنوباً، ويقع مركزها مكان بحيرة حمص، ويمكن عدها نهاية لسهل البقاع أو امتداداً لعتبة حمص – طرابلس شرقاً حتى هضبة السعون، أما من الجنوب فتشكل استمراراً للبقاع ولا تشكل أكثر من انفتاح له نحو الشمال، أما سطح الهضبة فيتركب من صخور سينونية في الغرب مع طبقات منعزلة، وارتفاعها (٤٠٠-٥٠٠م)[3].

٢- **هضبة حمص البركانية (الوعر)**: تمتد بين حمص وجبل الحلو، وهي مساحات بازلتية ذات تضريس سطحي مشوش بصورة متفاوتة ومن هنا جاءت تسميته بالوعر، وتهبط هذه الهضبة من ارتفاع (٦٠٠←

---

١ - الموصلي (عماد الدين)، ربوع محافظة حمص بين الماضي والحاضر والمستقبل، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م، ص٢٣. منصور (منى حسن): دراسة جغرافية حول السياحة في المنطقة الوسطى في محافظتي حمص وحلب، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٩. طلاس (مصطفى) وآخرون: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، مركز الدراسات العسكرية، ط١، ١٩٩٢م، المجلد الأول، القسم العام، ص٥١٢. هوتسما (م.ت)، أرنولد (ت.و)، هارتمان (ر.باسيت): موجز دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٩٩٨م، ج١٤، ص٤٢٦٣.

٢ - انظر تفاصيل أكثر عن المظاهر التضاريسية لحمص لاحقاً.

٣ - طلاس، المعجم الجغرافي، مج١، ق١، ص٢٠٥.

٥٠٠←٤٠٠م) في الشمال الشرقي[١].

أما بالنسبة لتربة حمص، فتتنوع ترب المنطقة التي تنتمي في معظمها إلى الصخر الأم خارج سرير العاصي، فهي حديثة الشكل حمراء طينية حابسة للماء، تقل سماكتها كلما اتجهنا نحو الشرق وتنعدم تماماً على الضفة الغربية لنهر العاصي، حيث تقوم التربة السوداء والأحجار البازلتية بتغيير مظهر لأرض، فالأرض البازلتية الواقعة غرب العاصي هي عبارة عن قذائف بركانية حصلت في الزمنين الميوسين والبليوسين من الدور الثالث الجيولوجي، وتمتد شمالاً إلى ما بعد الرستن بقليل، وتنتهي جنوباً عند الضفة الشمالية لبحيرة قطينة[٢].

تضاريس منطقة حمص

كنتيجة طبيعية لعامل تكوين التضاريس الباطنية والخارجية أخذت تضاريس منطقة حمص ثلاثة اتجاهات متمايزة ومتنوعة هي:

١- **التضاريس البركانية والسهلية المتموجة في سهول حمص وما غربها، وتشكل ٩٪ من المساحة العامة لمنطقة حمص.**

٢- **التضاريس الالتوائية في منطقة جبال ووسط حمص، وتشكل٤٥٪.**

٣- **التضاريس الصحراوية في منطقة الفيضات والحماد وتشكل٤٦٪**[٣].

إن نظرة إلى مقطع تضريسي من حمص من الغرب إلى الشرق، يبين أن هناك خط الساحل يليه خط المرتفعات الغربية، ثم خط الأخدود، ثم المرتفعات الشرقية، وأخيراً خط هامش الصحراء[٤].

وليس هذا مجال البحث في تضاريس حمص، وسوف تتضح الرؤيا أكثر عند

---

١ ـ طلاس، المرجع المتقدم، مج١، ق١، ص٢٠٥.

٢ ـ طلاس، المرجع المتقدم، مج١، ق١، ص٥٢٠، لمزيد من التفاصيل انظر جباوي (علي): الجغرافية التاريخية، مطبعة طربين، ١٩٨٢م، ص٦٧ـ ١٠٥.

٣ ـ الموصلي، ربوع، ص١٩ـ٢٢. طلاس، المعجم الجغرافي، مج١، ق١، ص٢٥٠، منصور، دراسة جغرافية، ص١٢.

٤ ـ حمدان (جمال): المدينة العربية، محاضرات ألقيت لطلبة الدراسات التاريخية والجغرافية، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، ١٩٦٤م، ص١٨٣. انظر مقطع مورفولوجي حمص، الملحق رقم (٧).

الحديث عن حواضر حمص.

رابعاً: تسمية حمص

تلفظ حِمْصَ لغةً بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الصاد[1]. والنسبة إليها الحمصي، وتجمع على الحماصنة[2]. ويلفظها سكان حمص الآن (حُمص).

أما أصل اشتقاق هذه التسمية فهو مثار جدل بين المؤرخين والجغرافيين وعلماء الآثار، ولا تزال النتيجة غير مؤكدة لأصل وسبب التسمية، فقد وردت عدة آراء بهذا الشأن منها:

الرأي الأول:

إن كلمة حمص مأخوذة من لفظ حث، وهو اسم القبيلة التي استوطنتها مدة ليست بقصيرة، ولكن الآثار المكتشفة دلت على أنها أقدم عهداً من الحثيين، وأن هؤلاء سكنوها بعد عمرانها فلا يمكن أن يؤخذ اسمها الأصلي عنهم[3].

الرأي الثاني:

أن لفظ حمص تحول من **Emessa** أو **Emesa** أو **Hemesa** بيد أن هذا الرأي محمول على الظن بأن المدينة يونانية الأصل، وأن الاسم يوناني وهذا ما ذكره الحموي بقوله: " حمص بناها اليونانيون"[4]. علماً أن حمص أقدم عهداً من اليونان[5].

---

١ ـ الحازمي (محمد بن موسى): (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٧م) الأماكن أو (ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة) جزئين، إعداد ونشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م، ج٢، ص٣٨٣.

٢ ـ الأسدي (م، خير الدين): موسوعة حلب المقارنة، أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، جامعة حلب، ط١، ١٩٨٤م، مج٣، ص٢٦٠.

٣ ـ أسعد (عيسى): تاريخ حمص منذ نشأتها الأولى إلى ظهور الإسلام (٢٣٠٠ ق.م ـ ٦٢٢م) القسم الأول، ص٣٧. وقيل أنها نسبت إلى مؤسس القبيلة حمث بن كنعان، فسميت باسمه وعلى مر الأيام أبدلت الثاء صاداً فصارت حمص. الخوند، الموسوعة، ج١، ص٢٨٦.

٤ ـ الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٠٢.

٥ ـ إذ أثبتت التنقيبات الأثرية أنها أقدم عهداً من اليونان. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٠. شيخو، محاضرة، ص٢.

الرأي الثالث:

وللحموي رأي ثانٍ فهو يرى أن اللفظ مشتق من الحماسة لأن حمص مدينة الأقوياء، وأن بانيها رجل عماليقي، وذكر الحموي اسمين هنا: "حمص بن المهرب ابن مكنف العمليقي، وقيل حمص بن مكنف العمليقي، فيما زعموا[1]". بمعنى أن ياقوت غير متأكد من خبره عندما يردد (فيما زعموا). وقيل أنها تنسب لقوم من بني المهر بن حيص بن جان بن مكنف بن عمليق[2]، وقيل "حمص مدينة بالشام مشهورة، لا يجوز فيها الصرف لأنه اسم أعجمي سميت برجل من العماليق يسمى حمص، ويقال رجل من عامله هو أول من نزلها"[3].

الرأي الرابع:

وقد ذهب بعض الأقدمين إلى أن لفظة حمص آرامية، ومعناها الأرض اللينة الوطء، وأنها سميت بذلك لوقوعها في منطقة سهلية، وقيل إن اسم حمص وحماة مشتقة من اسم واحد، وأن الآراميين اعتادوا أن يبدلوا الثاء صاداً، ويقال أن حمث ابن كنعان بنى المدينتين، وسمى كلتيهما باسمه، وميز القدماء بين الاثنتين باللقب، إذ لقبوا حمص: حمث الكبرى، وحماه: حمث الصغرى، ثم أبدلت الثاء لحمث صاداً لها[4]. "وأجمع المؤرخون أنه معرب من اللغة الآرامية التي كان يتكلمها أجدادنا قبل الإسلام"[5]. ولكن لا يوجد دليل على أن هذا اللفظ وجد

---

١ ـ الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٠٢.

٢ ـ ابن شداد، (عز الدين أبي عبد الله)، (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م): الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، عني بنشره وتحقيقه دومينيك سورديل، دمشق، ١٩٥٣م، ج١، ق١، ص١٥.

٣ ـ البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز): (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق وضبط مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م، ص٤٦٨. الحميري، الروض المعطار، ص١٩٨.

٤ ـ أسعد، حمص، ق١، ص٣٧-٣٨. شيخو، محاضرة، ص٢، الخوند، الموسوعة، ج١٠، ص٢٨٦.

٥ ـ سابا (أنطوان): حمصنة حمص الشام كما عرفتها، ص١٧.

أيام الآراميين[1]. ولا يجمع المؤرخون على هذا الرأي، بل اختلاف الجغرافيين.

الرأي الخامس:

أن لفظة حمص جذر كنعاني يعني فيما يعنيه (الخجل)، ومنها التحميص، وربما مشتقة من اللون الأحمر، فمن المعلوم أن الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط تعرضت منذ منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى غارات شعوب البحر عليها، مما أدى إلى هجرة السكان، ولعل منطقة حمص اللبنانية تعرضت لإحدى هذه الغارات، وأن الناجين منها، اتجهوا شرقاً التماساً للأمن، وأقاموا في المنطقة الوسطى من سورية في موقع حمص الحالية، ورفعوها على تل صناعي ودعوها حمص ليعبروا عن تعلقهم بموطنهم الأصلي على عادة النازحين في كل مكان[2].

لكن هذه المقولة لا تستند إلى أدلة مادية، حتى أن الكاتب غير متأكد من صحتها بدليل استخدامه لفظة (ولعل)، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يوجد ذكر لحمص اللبنانية لدى الجغرافيين المعاصرين لحقبة الدراسة، علماً أنهم يذكرون حمص اشبيلية في الأندلس ـ كما سيمر لاحقاً ـ ولا يذكرون حمص اللبنانية كما أن لبنان الحالية كانت جزءاً من جند حمص في العصر الأموي.

الرأي السادس:

إن أول ما استوطن من حمص إنما هو التل الذي أصبح بعدئذٍ قلعة. والحصن يدعى بلغة قدماء الشرقيين "حامات" ثم لما بنى بعضهم المساكن في المنبسط الموازي للتل. دعيت تلك المنازل "صوبا" وهي باللغات السامية "محلة". فلما ازداد عدد المنازل وصارت بلداً أهم من التل، صار التل مضافاً والبلد مضافاً إليه، فدعيت "حامات صوبا". ولما صار هذا اللفظ المركب علماً للمدينة، نحتته الألسنة فصار حميصوبا، واقتصر العبرانيون على شطره الأخير فقالوا "صوبا"، واختار اليونان الشطر الأول

---

١ ـ أسعد، حمص، ق١، ص٣٩.

٢ ـ السباعي (محمود عمر)؛ والزهراوي (نعيم)؛ حمص دراسة وثائقية في الحقبة من (١٢٥٦ ـ ١٣٣٧هـ)، (١٨٤٠ـ ١٩١٨م)، ط١، ج١، ص٣.

وخففوه فصار "أميسا"، وأخذ الشرق معظم معلوماته عن اليونان ومنها هذا اللفظ الذي عربوه فصار " حمص"[1].

وأما أن ينحت اسم حمص من "حماة صوبا" ويتحول هذا التحول فأمر عجيب لا نظير له، ويبدو التكلف واضحاً فيه، إذ أن حماة وصوبا لهما ذكر معاصر لحمص في التاريخ القديم[2].

الرأي السابع:

قيل حمص مدينة قديمة اسمها القديم سورية[3]، وهذا من باب إطلاق الكل على الجزء، أو العموم على الخصوص. هذا رأي مستبعد إذ كانت حمص جزءاً من ولاية سورية التابعة للروم قبل الفتح الإسلامي.

الرأي الثامن:

وهناك اجتهادات شخصية في تسمية حمص منها: أن سكان حمص أول من اخترع زراعة حبوب الحمّص، لذلك أسموهم الحماصنة، وقيل أن الأجداد عندما قدموا حمص من أعماق الجزيرة العربية، اصطحبوا معهم البن والقهوة، ولما قاموا بتحميصها، وأثارت روائحها الناس حولهم أسموهم المحمصين[4]. ولكن لا يمكن

---

١ ـ أسعد، حمص، ق١، ص٣٨.

٢ ـ السباعي (محمود): حول كتاب تاريخ حمص للمرحوم الخوري عيسى أسعد، ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى من ٢٦ ـ ١٩٨٤/١١/٢٩م، ص٤٥ـ٤٦.

٣ ـ العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله)، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، السفر الثالث، ص٥٣١.

٤ ـ سابا، حمصنة، ص١٦ـ١٧. ومن تسمياتها الحديثة (عروس البادية) لأن حمص على تخوم بادية الشام، و(جارة العاصي) فهي تلاصق العاصي لعشرات الكيلومترات من أراضيها، و(أم البساتين) لكثر بساتينها، و(الوسطانية) لتوسطها سورية، و(حمص العدية) من الاعتداد بالذات وليس العدوانية، و(حمص العالية) من العلو والارتفاع لوقوعها على هضبة مرتفعة. وتسمى أم الحجارة السوداء لكثرة حجارتها السوداء. وأجمل ما تسمّت به حمص مدينة ابن الوليد نسبة

ترجيح هذا الاعتقاد لأن عادة تحميص القهوة كانت منتشرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية في تلك الحقبة، ولم تقتصر على منطقة حمص فقد شملت الشام بالتجارة أيضاً.

وعلى أية حال فإن وجود استيطان بشري في تل حمص سالف لوجود المدينة. وربما يقودنا هذا إلى اعتبار أنها تسمّت باسم بانيها بغض النظر عن الحقبة الزمنية التي بنيت بها، ويمثل ذلك الرأي الثالث، وينتظر ما قد تعززه دائرة الآثار بحمص عن أصل التسمية واشتقاقها، أو العثور على مصدر كتابي يصحح المعلومة.

والشيء المهم أن حمص كانت معروفة باسم حمص قبيل الفتح الإسلامي، إذ وردت أخبار الإسلام لهرقل وهو يقيم في حمص قبيل الفتح[1]. كما وردت في قصيدة "امرؤ القيس":

لقد أنكرتني بَعْلَبَكُّ وأهلُها ولابنُ جُرَيْج في قُرَى حِمْصَ أنكرا[2]

خامساً: موجز تاريخ حمص قبل الإسلام

تعد حمص درة من درر مدن الشام، وزهرة فواحة من حدائقها العطرة، وأريج دائم، حباها الله موضعاً متميزاً من أرضها، وأعطاها موقعاً هاماً. فمتى سُكنت حمص؟. وما التطورات التاريخية التي شهدتها حمص منذ تأسيسها حتى الفتح الإسلامي؟. وما الدول التي تعاقبت على حكمها؟.

لا أحد يعرف حتى الآن بالتحديد متى بدأ بنيان مدينة حمص، لكن دلت

الوليد نسبة لخالد بن الوليد القائد العظيم، وتكتب باللغة الإنكليزية والفرنسية (Homs). سابا، حمصنة ص١٦-١٧. محلي، حمص أم الحجارة، ص١٢.

١ ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ج٢، ص٦٥١.

٢ ـ فهو يقول: بعدت عن أهلي وديارِي حتى صرت في موضع لا أُعرف فيه. ويذكر أنه كونه في غير أهله وديارِه فلا ير شيئاً يُسَرُّ به، ويوافقه. ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٥٨م، ص٦٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٢٣.

الدراسات والحفريات الأثرية، أن تل حمص قد سكن منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد(٢٥٠٠ق.م) تقريباً، وهو معاصر لمملكة المشرفة (قطنة)[١]، ولمنطقة (قادش)[٢]، بدليل وجود بعض اللقى الأثرية التي تثبت ذلك، وتثبت أن حمص كانت حاضرة زمن الصراع المصري ـ الحيثي في قادش[٣]. ويقال إن أول من سكنها الروثان من أحفاد سام بن نوح، وتلاهم العمالقة[٤].

والثابت أن أصول سكان حمص من العموريين والكنعانيين والآراميين، من العرب القدماء الذين امتزجوا مع أصول عربية لاحقة، إذ أن الهجرات العربية بدأت بالعموريين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وقد سكن قسم كبير منهم في بلاد الشام، وشكل قسم منهم دولة قطنة التي تقع شمال شرقي حمص[٥]. ومن المفترض

---

١ ـ قطنه: تعد قطنة واحدةً من مراكز حمص المهمة، وقد أثبت التنقيب الأثري على أن هوية موقع المشرفة هو مدينة قطنه الشهيرة، الموصلي (ماجد): الطبوغرافية التاريخية للمدن القديمة في وسط سورية، ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى، من ٢٦ـ ١٩٨٤/١١/٢٩م، ص١١. أبو عساف (علي): قطنة وقادش، ندوة حمص الأثرية والتاريخية الأولى، من ٢٦ـ ١٩٨٤/١١/٢٩م، ص٣٤.

٢ ـ قادش: وهي تل النبي منذ على العاصي إلى الجنوب الغربي من حمص حوالي ٢٤كم. وورد اسمها في المصادر الحثية (Kinza) وتقع على طريق القوافل التجارية بين حمص وبعلبك، وقد تأكد عام ١٩٧٥م بشكل قطعي ومادي توقيع قادش في موضع تل النبي منذ، وذلك اثر اكتشاف خمسة ألواح طينية تثبت ذلك، الموصلي، الطبوغرافية، ص١١. وفي هذا المكان حدثت المعركة الهامة بين الحثيين والمصريين ١٢٩٣ق.م. أبو عساف، قطنة وقادش، ص٢٧. مطلق (شاكر): معركة قادش، ندوة حمص الأثرية والتاريخية، من ٢٦ـ١٩٨٤/١١/٢٩م، ص٢١.

٣ ـ الموصلي، ربوع محافظة دمشق، ص١٠٦. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٠.

٤ ـ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٩٩٦م، ج٩، ص٥٤١.

٥ ـ الموصلي، ربوع محافظة حمص، ص١٠٦. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٠. وفي مناطق الشرق (سورية ولبنان وفلسطين) يجب أن ننظر بشكل منفصل إلى ستة عوامل بوصفها متغيرات أو متحولات عند دراستنا للمدن وهي: ١ـ الخروج من الكهوف، وتكوين تجمعات مشيدة في العراء (القرى). ٢ـ درجة استقرار الأهالي داخل هذه القرى. ٣ـ القرية نفسها بصفتها انجازاً عمرانياً، وتطور مخططاتها ودلالاتها، ٤ـ إنتاج العيش (القوت). ٥ـ التطور التكنولوجي والتنقيبات الجديدة. ٦ـ التطور الأيديولوجي، كما ينجلي في الفن أو الطقوس المتعلقة بالموتى. كوفان

بعدما ثبت الكنعانيون أقدامهم في قطنة، وأن قسماً منهم تسرب إلى منطقة حمص، وخاصة بمن عرف منهم بالفينيقيين، وما بين (١٥٠٠ـ ١٣٠٠ق.م) ظهر الآراميون في إطار الهجرة العربية الثالثة[١].

ولا شك أن شعوباً أخرى من غير المنطقة قد غزت البلاد مثل الحثيين والمكدونيين والرومان[٢]. وقد دلت التنقيبات الأثرية على وجود سكن هلنستي في تل النبي مند وفي الرستن، ويعتقد أن قواد الاسكندر بعد وفاته اجتمعوا في منطقة قريبة من القصير، ووزعوا تركة الاسكندر، فكانت سورية من نصيب سلوقس نيكاتور[٣].

وقد اتضحت أهمية حمص زمن أسرة شمسغرام العربية التي كان لها سلطة واسعة امتدت لتشمل حمص والمناطق المجاورة لها. ويبدو أن أسرة شمسغرام قامت بإصلاحات عمرانية في حمص، حيث وسع هؤلاء المدينة القديمة[٤].

(جاك): القرى الأولى في بلاد الشام من الألف التاسع حتى الألف السابق قبل الميلاد، ترجمة الياس مرقص، دار الحصاد، سورية، ط١، ١٩٩٥م، ص٤٩. لمزيد من التفاصيل حول تطور الإنسان في العصور القديمة، انظر كروزيه (موريس)، تاريخ الحضارات العام، المجلد الأول، ص٢٣ـ٣١.

١ ـ شيخاني، حمص وخالدها، ص٢١. وكان نتيجة ذلك أن اكتسب الآراميون حضارة الأموريين والكنعانيين ضمن اللغة الآرامية التي تحولت فيما بعد إلى التسمية السريانية. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢١. أسعد، حمص، ق١، ص١٠١. ألتهايم (فرانتس): إله الشمس الحمصي والديانات الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، ترجمة بايرينا داوود، مراجعة وتقديم فراس السواح، دار المنارة، دمشق، ط١، ١٩٩٠م، ص١٢٧.

٢ ـ شكور (رشيد): تاريخ حمص، (محاضرة ألقيت في الحفلة التي أقامتها جمعية متخرجي بيروت الأمريكية المقيمين في البرازيل)، دار الطباعة والنشر العربية، ١٩٥٩م، ص٣٣.

٣ ـ الذي يقال أنه سمى مناطق كثيرة ومدناً متعددة باسمه وباسم أفراد عائلته وزوجته كاللاذقية، وسلوقية، وأنطاكية، وأفامية. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢١. شيخو، محاضرة، ص٥.

٤ ـ ويميل أغلب المحققين إلى اعتبار أسرة شمسغرام أسرة عربية بدليل ورود أسماء عربية مثل سحيم وعزيز في تعداد ملوكها، وتشير الدلائل إلى ورود اسم شمسيغرام في نصوص العصر الهلنستي والروماني مؤلفاً من قسمين (شمس + غرام) وتعني (الحاكم باسم الشمس). وكان شمسغرام من زعماء القبائل العربية في المنطقة. وبعد قضاء الرومان على الحكم السلوقي

وتجدر الإشارة إلى أنه من خلال المصادر التاريخية والأثرية والنقوش الكتابية ومسألة صك العملات في سورية خلال العصرين الهلنستي والروماني، ودراسة الظروف البيئية لمدينة حمص، ومن خلال قراءة الصور الفضائية، ودراسة المقاطع الجيولوجية داخل أحياء المدينة القديمة، أن من أسباب انطواء حمص على نفسها ضمن إطار التل الأثري، وبالتالي عدم وجود إمكانية لتطور المدينة خلال العصر الهلنستي يعود إلى وجود مستنقعات على أرض مدينة حمص الحالية، والتي كانت سبباً معيقاً لتطور المدينة خلال عصور ما قبل الرومان، ولكن مع بناء سد بحيرة قطينة خلال العصر الروماني توافرت الظروف الملائمة لتطور هذه المدينة، وذلك من خلال التحكم بمياه العاصي وتجفيف المستنقعات على أرض المدينة[1].

أدركوا أهمية قوة العرب في المنطقة فتقربوا من هذا الأمير العربي. وبوفاة شمسغرام حكم ابنه (جامبليق) الذي انضم إلى ماركوس أنطونيوس ضد اوكتافيانوس مما دفع أنطونيوس للقضاء على جامبليق والتخلص منه نهائياً عام ٣١ق.م، فتولى حكم حمص بعده اسكندر بن شمسغرام الأول الذي كان موضع ثقة عند أنطونيوس. غير أن النزاع بين أنطونيوس واوكتافيانوس انتهى بانتصار اوكتافيانوس في معركة اكتيوم ٣١ق.م، مما أثار قلق اسكندر الذي قُضي عليه بنفيه إلى روما واغتياله فيها، وظلت حمص بدون حاكم وطني حتى أصبح جامبليق الثاني ابن جامبليق الأول حاكم حمص عام ٢٠م، وعدت حمص في عهده بمثابة العصر الذهبي لمملكة حمص، ثم تولى شمسيغرام الثاني وهو الذي بنى صومعة حمص القديمة، وبعده تولى عزيز شمسيغرام الثاني ثم سهيمة بن شمسيغرام الثاني الذي عاصر الرومان حتى عام ٧٩م، وانتهى نفوذ الأسرة بولاية الإمبراطور الروماني ٥١-٩٦م الذي قضى على أسرة شمسيغرام. زهدي (بشير): حمص واسهامها الفني والجمالي، ندوة حمص، ١٩٨٤م، ص٥٨-٦٢. أسعد حمص، ق١، ص٢٧٦ - ٢٨٢. وانظر سورية ٢٠٠٠م دراسة عامة حول الجمهورية العربية السورية، مركز المعلومات القومي، ٢٠٠١م، ٣٦-٣٨. الريماوي، مدينة حمص، ص٢٢٢. شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٢، ص٥٨، ص٥٩. الموصلي، ربوع محافظة دمشق، ص١٢٠.

١ - عبد الكريم (مأمون): أمراء حمص ودروهم في الصراعات التي نشبت في سورية خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، السنة الخامسة والعشرين، العدد ٩١، أيلول ٢٠٠٥م ص١٤.

وعندما دخلت الشام في حوزة الرومان بقي لهذه الإمارة (حمص) استقلالها الذاتي وحقها في صك النقود [1].

استمر تأثير حمص في زمن الإمبراطور أبلوكابال الذي استلم سدنة كهنة الجبل في حمص (٢١٨ – ٢٢٢م) وكانت والدته ابنة أخت جولية دومنا[2].

وقد بلغت حمص ذروة مجدها في عهد سبتميوس سيفيريوس إمبراطور روما عام ١٧٥م، ففي عهده شقت الطرق في حمص، وانتظم البريد، وازدهرت الزراعة والتجارة حتى وصلت تجارتها إلى أوروبا[3].

وبذلك فقد غدت حمص مركزاً تجارياً واقتصادياً مهماً فأمها تجار أوروبا، وزاد في أهميتها أن جعلها هرقل أحد مراكز إقامته في الشام.

ومنذ أوائل القرن الثالث الميلادي حالف الحظ مملكة تدمر التي عرفت باسم **Palmyra** بقيادة ملكها أذينة الثاني ٢٥٨م، الذي قدم خدمات جلى لروما ضد فارس، لكن تدمر بدأت تظهر بزي جديد عندما وصلت زنوبيا لحكمها، والتي استطاعت أن تؤسس إمبراطورية كبيرة. أضحت منافسة للإمبراطورية الرومانية، ومتنامية على حساب روما مما أقلق الرومان، فاقبل الإمبراطور أورليان بجيوشه واستطاع التغلب على جيوش زنوبيا في تدمر في عدة معارك، وفي هذه الأثناء وحتى

---

١ ـ شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٢. شيخو، محاضرة، ص٧. عبد الكريم (مأمون): أمراء حمص ودروهم في الصراعات التي نشبت في سورية خلال القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، السنة الخامسة والعشرين، العدد ٩١ـ ٩٢، أيلول ٢٠٠٥م ص١٢.

٢ ـ وقد كان للنساء الحمصيات دور واضح في ولاية الإمبراطور من قبل أمهات هؤلاء الأباطرة. وهن على التوالي: جولية دومنا زوجة الإمبراطور سبتيموس سيفيريوس ووالدة الإمبراطور كراكلا. وجولية ميزا أخت جولية دومنا، وجدة الإمبراطور أبلوكابال واسكندر سيفيريوس. وجولية سوميس والدة الإمبراطور أبلوكال وابنة أخت جولية دومنا. جولية مامية والدة الإمبراطور اسكندر سيفيريوسس. شيخاني،. وقد أحضرت جولية دومنا أختها وابنتي أختها معها إلى روما، وصارت فيما بعد كل واحدة منهن ذات شأن كبير في روما ". جود الله، سورية، ص٤٠٢. شيخاني، حمص وخالدها، ص٣، ٢٣.

٣ ـ جود الله، سورية ص٣٩٦. أسعد، حمص، ق١، ص٣٣٥.

لا ينحاز السكان في حمص إلى جانب زنوبيا وعد أورليان الحمصيين أنه سيهتم بحمص، إلى أن تمكن من اسر زنوبيا وهزيمتها[1].

وعندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين كانت سورية من نصيب الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقسمت سورية إلى مناطق منها منطقة فينيقية الثانية، ومركزها حمص، وما بين ٤٤٧ – ٥٢٨م حدثت زلازل متتابعة دمرت الكثير من مباني المدن ومنها حمص[2].

وما بين ٥٢٩ ـ٥٦٩م عين الحارث بن جبلة الغساني سيداً على القبائل العربية في المنطقة وفي عام ٥٤٠م احتل الفرس شمال سورية زمن الساسانيين ٦١١ـ٦١٧م، واستطاع هرقل استعادتها منهم، وقد اتخذ هرقل من حمص قاعدة لتنقلات جيشه أثناء حروبه قبيل العصر الإسلامي[3].

وهكذا فقد وجدت في حمص آثار الإنسان الحجري القديم ٢٤٠٠ق.م وتعاقبت على حمص حضارات عدة منها الكنعانيون، والأموريون، والحثيون، والمكدونيون والسلوقيون، والرومان[4]، لكن الحروب التي جرت على أراضيها أزالت كثيراً من معالمها القديمة واستمر الحال كذلك حتى الفتح الإسلامي.

سادساً: وصف المؤرخين والجغرافيين والرحالة لحِمْص

حظيت حمص باهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة، ومن ذلك: أن حمص كانت مفروشة بالصخر[5]، وقد ساعد على ذلك وفرة الحجارة السوداء في

---

١ ـ شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٤. هوتسما: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج١٤، ص٤٢٦٥. أسعد حمص، ق١، ص٣٥٤.

Channoum, (Walid), Rajab, (Rawaa), Tourist Guide of Homs, Translated by Suzan Ibrahim, Homs,p٦.

٢ ـ شيخاني، حمص وخالدها، ص٢٤.

٣ ـ الطبري، تاريخ الأمم، ج٢، ص٦٥١. الخوند، الموسوعة، ج١٠، ص٢٨٨.

٤ ـ علي (محمد كرد)، خطط الشام، ج١، ص٥٧ ـ٦٠.

٥ ـ البلاذري، فتوح، ص١٤٠.

أراضيها، مما مكنها من رصف شوارعها وطرقها، مما منحها منظراً جميلاً.

فيصفها اليعقوبي بقوله: "ومدينة حمص من أوسع مدن الشام، ولها نهر عظيم منه شرب أهلها"[1]. وهذا يؤكد أن جند حمص كان الأكبر مساحة في حقبة الدراسة مما استدعى فصل قنسرين عنها.

وأما ابن حوقل فيقول: "وأما جند حمص فإن مدينتها حمص وهي في مستواة خصبة أيضاً، وكانت أيام عمارتها صحيحة الهواء من أصح بلدان الإسلام تربة، وكان في أهلها خبال ويسار - ولها مياه وأشجار - ، وكانت كثيرة الزرع والضرع، وكانت أكثر زروع رساتيقها بخوساً أعذاء. وبها بيعة بعضها مسجد الجامع وشطرها للنصارى، فيه هيكلهم ومذبحهم، وبيعتهم من أعظم بيع الشأم - وجميع طرق حمص من أسواقها ومسلكها مفروشة بالحجارة مبلطة - وقد زاد اختلالها بعد دخول الروم إليها"[2].

أما المقدسي فيقول: "تعتبر قصبة الجند، وهي من أكبر مدن الشام، تربتها خصبة، بها قلعة عالية عن البلد، يعتمد أهلها في شربهم على ماء المطر ويمر بها نهر العاصي"[3].

وفي نزهة المشتاق: "وأما أرض حمص فإن مدينتها حمص وهي مدينة حسنة في مستو من الأرض، عامرة بالناس، والمسافرون يقصدونها بالأمتعة والبضائع من كل فن وأسواقها قائمة ومسرات أهلها دائمة، وخصبهم رغد ومعايشهم رفيقة، وفي نسائهم جمال وحسن بشرة، وشرب أهلها من ماء يأتيهم في قناة من قرية بقرب جوسية، والمدينة منها على مرحلة مما يلي دمشق، ونهر الأرنط المسمى المقلوب يجري على بابها بمقدار رمية سهم أو أشف، ولهم عليه قرى متصلة وبساتين

---

١ - اليعقوبي، البلدان، ص٣٢٤. ابن خرداذبة، المسالك، ص٧٣.

٢ - ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي): (ت٣٦٧هـ / ١٠٧٠م)، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص١٦٢.

٣ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٥٩. واصف (أمين): الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للمالك الإسلامية، تحقيق أحمد زكي باشا، الدار المصرية للطباعة، ص٥٠.

وأشجار وانهار كثيرة، ومنها تجلب الفواكه إلى المدينة، وكانت في مدة الإسلام من أكثر البلاد كروماً فتلف أكثرها، وثراها طيب للزراعات واقتناء الغلات، وهواؤها أعدل هواء يكون بمدن الشام .... وجميع أزقتها وطرقها مفروشة بالحجر الصلد، وزراعاتها مباركة كثيرة وزروعها تكتفي باليسير من السقي وبها مسجد جامع كبير من أكبر جوامع مدن الشام"[1]. وتشمل حمص قواعد جليلة، وقرى شريفة لا يحيط بها إلا خالقها[2].

وهناك مَنْ يؤكد على قِدَم حمص في التاريخ فيذكر أن "حمص في قديم الزمان كانت أذكر من[3]" "غيرها من مدن الشام".

وقيل "بلدٌ مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عالٍ كبيرة وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق"[4].

"وحمص مدينة بأرض الشام حصينة، أصح بلاد الشام هواء وتربة، وهي كثيرة المياه والأشجار[5]".

"وحمص مدينة قديمة تسمّى سوريا ماؤها وهواؤها صحيح، ومن حُسن بناء حمص أنه لا يوجد بها دار إلا وتحتها في الأرض مغارة أو مغارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة.... وأهل مدينة حمص يوصف عامّتهم بقلة العقل[6]".

---

١ ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسيني): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مج١، ص٣٧٤.

٢ ـ البكري (أبو عبيد الله عبد العزيز البكري الأندلسي): (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)، المسالك في الممالك، حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليونن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ٢جزء في مجلد واحد، ج٢، ص٤٩٨.

٣ ـ (.... أذكر من دمشق) الحازمي، الأمكنة، ج٢، ص٣٨٣.

٤ ـ الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٠٢.

٥ ـ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): (ت ٦٢٨هـ /١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٨٤.

٦ ـ شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي): (ت ٧٢٧هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، بغداد، ص٢٠٢.

ووصفها البعض بأنها: "مدينة أولية، وهي أحد قواعد الشام، وهي ذات بساتين، شربها من نهر العاصي، وهي في مستوى من الأرض خصبة جداً، أصح بلدان الشام تربة، وأكثر زروع رساتيقها عذى"[1].

أما ابن جبير فيقول: "وهي فسيحة الساحة، مستطيلة المساحة نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة، موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه لا يخترقه النسيم بمسراه، يكاد البصر يقف دون منتهاه، أفيح أغبر، لا ماء ولا شجر، ولا ظل ولا ثمر، فهي تشتكي ظمأها، وتستقي على البعد ماءها، فيجلب لها من نهرها العاصي، وهو منها بنحو مسافة الميل، وعليه بساتين تجتلي العين خضرتها، وتستغرب نضرتها، ومنبعه في مغارة بسفح جبل فوقها بمرحلة بموضع يقابل بعلبك.... وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم إياه، .... فأحمد خلال هذه البلدة هواءها الرطب، ونسيمها الميمون تخفيفه وتجسيمه، فكأن الهواء النجدي في الصحة شقيقه وقسيمه"[2].

"وحمص مدينة قديمة، كانت معظمة عند ملوك الروم كرسي ملك لهم، ولم تزل يشار إليها بينهم باسم التعظيم وهي في وطأة ممتدة على جانب نهر العاصي في شماليه، مبنية بالحجر الأسود الصغير، وبها قلعة لا تمنع، ويستدير بها سور هو أمنع من القلعة وأسمح من أبراجها في الرقعة، ولها من العاصي ماء مرفوع، ولها من بعلبك أنواع البز، وظاهرها أحسن من باطنها، لاسيما في وقت الربيع الموشحة بالأزهار، ما مد النظر، يرنو بأحداق النرجس وثغور الأقاح، وتتوسط بها البحيرة الصافية الماء الضافية النماء، ذات السمك المنقول من الفرات إليها حتى تولد فيها، والطير المبثوث في نواحيها.... وحمص تتلو اسكندرية فيما يعمل فيها من القماش الفائق على اختلاف الأنواع وحسن الأوضاع، ولولا قلة مائه ونحولة جسمه مع أنه يبلغ الغاية في الثمن[3]".

---

١ - أبو الفداء (إسماعيل بن عمر): (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص٣٣١.

٢ - ابن جبير، الرحلة، ص٢٠٨.

٣ - العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله): (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م، السفر

أما ابن بطوطة فيقول: "ثم سافرت إلى مدينة حمص، وهي مدينة مليحة أرجاؤها مونقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميز بالحسن الجامع، وفي وسطه بركة ماء، وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم"[1].

ومن الرحالة المتأخرين ما يذكرون وصفاً مشابهاً دلالة على استمرار المدينة على حالها مع تطور في بعض الجوانب فيذكر الخياري (..... وسرنا إلى أن لاح الفجر فلاحت أعلام حمص، فأول ما ظهر لنا قلعتها؛ فإذا هي قلعة متسعة الجوانب كثيرة المذاهب بها مصحف سيدنا عثمان الذي يزعمون أنه قتل وهو يقرأ فيه.... ورأيناها بلدة كبيرة عظيمة.... وبها سوق يباع فيه ما يحتاج إليه ويباع فيه كثير من الأقمشة المضلعة بالحرير والبشاكير التي توضع على الركب المزخرفة بالألوان العجيبة)[2].

ومن خلال هذا الوصف لمدينة حمص، يتبين أن هؤلاء المؤرخين والجغرافيين والرحالة قد أمدونا بمعرفة جيدة عن مدينة حمص، رغم أن بعضهم كان ناقلاً عن سالفه ولم يأت بجديد، فقد احتوت مقولاتهم على العديد من الإشارات منها: بناء المدينة وسورها وشوارعها، ومياهها وتربتها، وزراعتها ومنتجاتها، وحواضرها ومناخها، وأسواقها وأفراحها وسكانها ولباسهم، وبعض عاداتهم وتقاليدهم.

الثالث، ص٥٣١-٥٣٤.

١ - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي): (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسمّاة رحلة ابن بطوطة، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ج١، ص٦٧.

٢ - الريحاوي (عبد القادر): رحلة الخياري إلى سوريا في القرن الحادي عشر الهجري، صفحات من مخطوط لم ينشر، مجلة الحوليات العربية السورية، ص٢٤. وبالرغم من تأخر هذه المعلومات عن حقبة الدراسة فهي تفيدنا في مقارنة ما بقي من آثار حمص الأموية أو ما طرأ عليها من تبدل. انظر: زكريا (أحمد وصفي): جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، وصف طبوغرافي تاريخي أثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الاسكندرونة إلى أبواب دمشق، المطبعة الحديثة بدمشق، تموز، ١٩٣٤م، ص٣٤٨-٣٧٧.

وكذلك تبدل أحوال بناء المدينة. وسأتحدث عن كل فكرة في فصلها. غير أن هناك بعض المسائل المهمة يجب ذكرها هنا.

١- أن المدينة بنيت وفق مدينة[١]، وهذا يعني أن البناء الأقدم قد تهدم، ربما بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل مثلاً، وبالتالي أعيد بناؤه، وهناك احتمال آخر أن سكان المدينة كانوا يحفرون المغاور تحت المنازل كوسيلة تحصينية دفاعية إذا ما تعرضت المدينة للغزو، ويؤكد ذلك وجود منبع للماء[٢] داخل تلك المغاور.

ويرجح الرأي الثاني: فقد شاهدت بيوتاً قديمة في عصرنا الحاضر وسألت أصحابها عن سبب هذه الظاهرة؟. فكان الجواب للاحتماء من غارات العدو عند نشوب الحروب والتي عرفت بالملاجئ.

٢- ومما يشير إلى هندسة الطرق أن طرقها كانت مبلطة مفروشة بالحجارة[٣]. ويعود ذلك لوفرة الحجارة السوداء من جهة وللعناية الرومانية السابقة في المدينة، حيث كان يقيم فيها هرقل، وهذا ما يفسر عدم توفر هذه الطرق في بعض المدن في نفس الحقبة.

أما مرد هذه الحجارة السوداء، فيعود لحركات طبيعية أثرت في تشكل سطح المنطقة كالزلازل والبراكين وما صحبها من اندفاعات الحمم التي شكلت هذه الحجارة، والتي تعرف في بعض المناطق باسم "الحرة".

ونظراً لوجود فصل الحياة الإدارية في حمص منذ الفتح حتى نهاية العصر الأموي، فسيتم الحديث عن حواضر حمص في الفصل المذكور.

---

١ ـ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٠٢.

٢ ـ شيخ الربوة، المرجع المتقدم، ص٢٠٢.

٣ ـ ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٦٢.